السياسية الساخرة . وبيت القصيد هو انه مهما كان مقدار الامل الذي عقده **بعض** اليهود على « العودة الى صهيون » ، اما كمطمح روحي او حتى كواقع سياسي ، فان قلة قليلة منهم كانت تدرك الحقائق السياسية / الاقليمية / الديمغرافية . ولذا فانهم لم يعرضوا لاي تعذيب ضمير .

قد يبدو كل هذا بعيد الاحتمال — او مجرد دفاع آخر — بعد هذه الاعوام من ١٩٦٧ والى ١٩٧٣ . ولكنني أتحدى كل من يحاول تلطيخ ما كتبته حتى الآن ان يظهر اين — وكيف — خارج البلدان العربية نفسها (وفي الحجرات المعتمة لموظفي المكاتب في وزارة الخارجية الاميركية والوزارات الخارجية الاخرى) كانت هنـــاك اية معرفة واسعةالانتشار، ناهيك عن ادراك للحقائق . واذا كان الضمير عضلة اخلاقية، متميزة عن « الوعي » الذي يستجيب للظواهر الاكثر تأثرا بالحواس البشرية الخمس ، فان « الضمير اليهودي » لم يوضع على المحك في الواقع . ولا يعني هذا الاعراب عن ثقة تامة به عندما يأتي المحك المحتوم — كما بات ممكنا الآن منذ بروز الفلسطينيين . فهناك دوما الخطر الذي حذر منه يهودا ماغنيس عام ١٩٤٧ من انه اذا ما وضعت القيم الاخلاقية ، لمصلحة النفعية ، في « الثلاجة » ، فقد لا يصار الى اخراجها منها أبدا ، واذا ما أخرجت منها ، فقد لا تخرج حية . وهذا خطر يواجهه « الضمير اليهودي » الآن فيما يدرك العالم القضية الفلسطينية بصورة متزايدة . وانه لامر حاسم ان ندرك ان لحظة الحقيقة قد قربتها المساهمة « العربية » المتزايدة — وغير الوافية بعد — في أنظمة الاتصالات في العالم . فهناك يتم تحريك **الوعي** ومثل هذا التحريك هو مجرد شرط لاية ردود فعل دافعة للضمير .

ان ما أعنيه هو ان المحك **لم يستخدم بعد** . لست متحررا مـــن الشكوك حول النتيجة ، ولكن لدي أملا كذلك . فالحكم لم يصدر بعد ، على ما أعتقد ، والى هذا الرأي أضيف انه حتى ولو خيب أملي الراهن فهناك أدلة تشير منذ الآن الى أن خيبة الامل لن تكون خانقة وأزلية بصورة تامة .

انني لم أزخرف هذه المقالة بتكرير وصية العهد القديم التـــي تحث على معاملة « الغريب كنفسك » (علما بأن الفلسطينيين ليسوا غرباء على فلسطين ، بالطبع) . كما انني لم أتكىء على عكاز النصائح النبوية القائلة بأن في صهيون « سيكون منزلي منزل الصلاة **لجميع** الشعوب » . ولم أسلط الضوء هنا على النزعة الانسانية التي لا تقهر عند آحاد هاعام ، والخلاصية المتحمسة لدى مارتن بوبر ، والالحاحات العملية ليهودا ماغنيس على الندم للتخلي عن المبادىء الاولية للديموقراطية . وأخيرا فاني لم أقم بأي تقييم عملي للحقائق الراهنة في اسرائيل نفسها ، ولاسرائيل شاهاك ، وأوري ديفيز ، وأري بوبر او حتى شولاميت ألوني. يكفي القول انه طالما كانت هناك صهيونية — في أية صيغة سياسية/اقليمية تضع الوعي «اليهودي» الدنيوي فوق الضمير — فقد كان هناك هؤلاء الذين استجابوا للضمير وصرخوا ، مهما كان الثمن في نطاق الامن وراحة الانحياز الى الجانب الاوفر حظا ، حتى ولو بدوا أصواتا تصرخ في البرية. ومامن شخص عاقل جادل أبدا بأن « الضمير هو شأن من شؤون وسائل الاعلام الجماهيرية أو السياسيين » . ولا يمكن العثور عليه في أسرار أجهـــزة الترانزيستور أو آلات الاقتراع . بل يبقى « الصوت الذي ما يزال صغيرا » الذي سمعه النبي ايليا « حينما مر السيد » .